

تحرير الإنسان المعاصر من الأزمة في أشعار خليل حاوي

افشار قاسم آبادي*

تاريخ الوصول: ٩٩/٣/١٣

تاريخ القبول: ٩٩/٤/٢٩

الملخص

تحتوى أشعار خليل حاوي على صدى الإنسان المعاصر ومصابه التي تتحدث عن الألم والمعاناة والظلم الذي تحمله. فهو يعتبر الإنسان فى عصرنا الحاضر، وخاصة الإنسان العربى المعاصر، مخلوقاً أسيراً وقع فى الأزمة الحالية، ومحاطاً بالقمع. كما تناول فى قصائده المظلمات والأزمات التي جعلت الرجل العربى الحديث، وخاصة الجيل المعاصر، راكداً، لدرجة أن قصائده تصور أزمة عميقة ومأساة، وهذه هى نفس الأزمة والحزن الذى أصبح أساس الوجود الإنسانى المعاصر؛ و الشاعر المعاصر لا يجهل وعى الإنسان المعاصر بقهره ومشاكله، ويسعى إلى تفسير الإنسان المعاصر بالمبدأ الإنسانى. خليل حاوي لديه أفكار لإنقاذ البشر فى أشعاره و يستخدم خبراته الوجودية و يعبر عنها. يعتقد حاوي أن الإنسان المعاصر من أجل إنقاذ نفسه جعل حرية عنوان حياته وبشعارات مثل؛ الأمل، فى انتظار المعجزة، وباليقين، النضال، الثورة، الإنتفاضة والمثالية يحاول العمل بهذه الأفكار وجهوده ونضالاته من أجل إنقاذ الإنسانية، وخاصة الرجل العربى، وفى كل هذه الظروف يأمل فى تحقيق الحرية التى يرغب فيها.

الكلمات الدلالية: خليل حاوي، الشعر، الإنسان المعاصر، الظلم، الحرية.

المقدمة

تأثر العالم العربي بالثقافة والحضارة الغربية في القرنين التاسع عشر والعشرين، وشهد العديد من التغييرات في مجالات السياسة والحضارة المادية والتكنولوجيا وأنماط الحياة، وفي مجالات الأدب، والشعر، والمسرحيات، والقصة، والقصص القصيرة والروايات تعرف على الإنجازات الجديدة للحضارة الغربية. ومن بين هذه التحولات، ظهر شعراء في لبنان والبلدان الأخرى يعتبرون شعراء من الشعر العربي الحر. كان *خليل حاوي* من الشعراء المنسيين بسبب وفاته المفاجئة وظهور شعراء عظماء في لبنان، وهو ما لم يكن يستحقه، لكنه كان من أوائل الشعراء العرب الجدد لجأوا إلى أسلوب رمزي واتجهوا إلى المدرسة الوجودية في قصائده. يمكن للغة الشعرية في العصر المعاصر، نظراً لمستوى عالٍ من السياسة والاستخدام الدقيق للكلمات، أن تحمل صوراً شعرية تنقل فكرة أفضل من اللغة العادية؛ لكن الهدف هو استخدام لغة تصور معاناة الإنسان المعاصر وتنقل مشاعره وعواطفه. يمكن القول بأن أعظم سمات *خليل* هي خلق مأساة شعرية في الشعر الحر، والتي يقدمها على أنها أسطورة. وهذه المأساة في ديوانه الأول «نهر الرماد» وخاصة في مجموعته الشهيرة من القصائد كـ«البحار والدرويش» يصف الأزمة الروحية للعصر الجديد في تحقيق الحرّية. في الواقع، يعبر الشاعر عن تجاربه الوجودية، وهي تجربة لم يسبق لها مثيل في الشعر، إلا لدرجة أنها أدت إلى تعاطف الشاعر وخوفه من عدم تحمل الشاعر لها وانتحر. هو يريد من الشعر أن يؤلف الآلام التي تضرب في أعماق الوجود الإنساني ويتعامل مع المشاكل الروحية والفكرية من أجل الوصول إلى اليقين الذي يخوضه في المعركة. يستخدم *خليل حاوي* في التعبير عن مشاعره وأفكاره الإنسانية سياقات وأساليب مختلفة مثل الرمزية، الأسطورية، والتراثية في معظم قصائده. يعبر *خليل حاوي* في قصائده بصدق عن مشاكل الإنسان المعاصر وسبل الخروج من هذه الأزمات. هو يطرح قضايا مثل البعث، الثورة، الحرية والمثالية في حياة الإنسان المعاصر ليشهد إنقاذ حرية الإنسان المعاصر. فأسئلة البحث هي:

- ما أهم مشاكل الإنسان المعاصر من وجهة نظر *خليل حاوي*؟
- ما الذي يعتقد *خليل* هو السبيل لإنقاذ الإنسان المعاصر من المشاكل التي يواجهها؟

سابقة البحث

البحوث التي تم إجراؤها بخصوص هذا الموضوع هي:

- مقالة بعنوان «بررسی تطبیقی ابلیسانه‌های خلیل حاوی و فروغ فرخزاد»، لثريا رحيمي؛ كبرى روشنفكر، فصلية محكمة، مجلة الأدب العربي، خريف وشتاء ١٣٩٨ش، سنة ١١، العدد ٢.

في هذا المقال، تحلل الكاتبتان رمز الشيطان في قصائد خليل حاوي وفروغ فرخزاد وتشرحان كيف أن المصادر المشتركة مثل الأفكار الوجودية والتعرف على الأعمال الرومانسية الغربية من جهة والمرارة المتتالية للشاعرين في حياتهما، كانت مؤثرة في بعضهما لبعض.

- مقالة بعنوان «تحليل قصيده «البحار و الدرويش» بر پایه نظريه ژاک لکان»، لاله ستاری، مهدي خرمی سرحوضکی، فصلية محكمة، مجلة پژوهشنامه نقد ادب عربي، خريف وشتاء ١٣٩٧ش، العدد ١٧.

قام مؤلفا هذا المقال، باستخدام المنهج الوصفي التحليلي والاعتماد على نظرية لكان والعناصر الثلاثة في نظريته، بتحليل قصيدة «البحار والدرويش» لخليل حاوي.

- مقالة بعنوان «مقایسه تطبیقی کارکرد اسطوره در شعر خلیل حاوی و منوچهر آتشی»، ل سید علی سراج، الفصلية المحكمة، مجلة پژوهشنامه انتقادی متون و برنامه‌های علوم انسانی، صيف ١٣٩٧ش، العدد ٥٦.

درس المؤلف في هذا البحث تجليات الأسطورة في شعر خليل حاوي و منوتشهر آتشی باستخدام المنهج الوصفي التحليلي المعتمد على مدرسة الأدب الأمريكي المقارن.

- مقالة بعنوان «توظيف اسطورة العنقاء(ققنوس) في قصيدتي «ققنوس» لنيما يوشيج و «عصرالجلید و بعد الجلید» لخليل حاوي»، ل حسين ناظري؛ عباس طالب زاده؛ علی اصغر قهرمانی مقبل؛ حسن عريضي، فصلية محكمة، مجلة كاوشنامه ادبيات تطبیقی، ربيع ١٣٩٦ش، العدد ٢٥.

حاول المؤلفون في هذا المقال أن يجيبوا على هذا السؤال: هل الشاعران نجحا في توظيف هذه الأسطورة في قصيدة «ققنوس» وقصيدة «عصرالجلید و بعد الجلید»؟ وبعد دراسة الأسطورة في القصيدتين المذكورتين وصلوا الى أن الشاعرين وظفا هذه الأسطورة

لكى يصوّراً أجواء بيئتهما الاجتماعية، كما استخدمتا كيفية مماته وحياته من جديد تعبيراً لأملهما وأهدافهما السّامية.

- مقالة بعنوان «أشكال التناص الدينى فى شعر خليل حاوى»، لـ على نجفى /يوكى؛ فاطمه يگانه، فصلية محكمة، مجلة دراسات فى اللغة العربية وآدابها، صيف ١٣٩٠ش، العدد ٦.

هذه مقاله تعتمد إلى دراسة استدعاء التراث الدينى(التوراة، الإنجيل والقرآن) وتوظيفه فى شعر الشاعر تحت قوانين التناص، والشاعر من خلال تناصاته الدينية يحرص على أن يتحدى القضايا السياسية والاجتماعية للوطن العربى. كما رأينا، لم يتم إجراء أى بحث حول موضوع «إنقاذ الإنسان المعاصر من الأزمة فى أشعار خليل حاوى» حتى الآن.

إنقاذ الإنسان المعاصر من الأزمة فى أشعار خليل حاوى

استندت الطبيعة البشرية إلى حقيقة أنها تميل دائماً من الوقائع إلى الحقائق، فإنها تميل إلى أن تكون كما ينبغى أن تكون، وتريد أن تعيش بلا قهر وبلا طغيان وبلا خطيئة حيث تسود الحرية. لكن كانت هناك دائماً عقبات وثرغرات فى طريق تحقيق هذه المطالب. على الرغم من هذه المشاكل والتناقضات، فقد أراد الإنسان دائماً الإستفادة من الصعوبات والقفز إلى الأفق الواسع واللانهائى للحقائق والخلاص فى مجتمعه. تظهر هذه المواجهات والصراعات الاجتماعية والسياسية بوضوح فى شعر خليل حاوى. لأنه يؤمن أن الإنسان المعاصر، بالرغم من كل الآلام والمصاعب والاضطهاد يمكنه أن يقف ضدها ويجد طريقة للتخلص منها.

يقدم خليل حاوى مكونات لإنقاذ الإنسان المعاصر من الأزمات التى سنتناولها هنا.

١.١. الأمل فى التحرير

رغم أن خليل يكون شاعراً مؤلماً ومعذباً، وفى قصائده يتفوق التشاؤم على التفاؤل، وانتصار الموت على الحياة، وسيطرة اليأس على الأمل، والشك على اليقين، لكن فى خضم هذه اللحظات والتجارب، يمكن أحياناً رؤية بوادر أمل، علامات على قرب الليالى ليست فى «ليالى بيروت»، لكنها قد تكون على الجانب الآخر من بيروت. حيث يشير «المجوس

في أوروبا»، حيث يعتقد ويؤمن أهله أن «العرى نقاوة» وهم بعيدون عن طباع بيروت التي «وجوهها وعقولها أسماء مستعارة». في قصيدة «بعد الجليد»، تتزايد علامات هذا الإيمان أكثر فأكثر، ويستخدم الشاعر رمز تموز- إلهة البركة والخصوبة- ليظهر المجتهدون ورواد المستقبل (شفيعى كدكنى، ١٣٨٤: ١٣٩). يقول الشاعر:

«يا إله الخصب، يا تموز، يا شمس الحصيد/ بارك الارضَ التي تُعطي رجالاً أقوياء الصلْبِ نَسْلاً لا يبيد/ يرثون الأرضَ للدهرِ الأبيد» (حاوي، ١٩٦٨: ١٢٨)

نعم، بقوله هذا وعلى الرغم من كل خيبات الأمل في ديوانه نجد أن هناك قصائد ومقاطع تفتح أبواب الأمل للخلاص والنجاة، عندما يسأل المأمول في «نهر الرماد»:

«أترى يولد من حُبِّي لأطفالي/ وحُبِّي للحياة/ وفارسٍ يمتشق البرقَ على الغول» (نفس المصدر: ١٥٨)

مما لا شك فيه أن مثل هذه المهاويل يوجد أمل وتفاؤل للتخلص من الظلام والوصول إلى النور المفتوح الذي يفسر على أنه كنوز ويذكر أن كنوزه هي فرحة الأيدي التي أعطاها، وإيمان وتذكر أبنائه التوأمين هما نتيجة الحقول وحضور مهرجان الحصاد:

«إخرسى يا بومة تفرع صدرى/ بومة التاريخ متى ما تريد؟/ في صناديقى كنوز لا تبيد/ فرحى فى كلِّما أطعمت/ من جوهري عمري/ فرح الأيدي التي أعطت وإيمان وذكري/ إن لي خمرًا وجمرًا/ إن لي أطفال أترابي/ ولي في حُبِّهم خمرٌ وزاد/ من حصاد الحقل عندى ما كفانى/ وكفانى أن لي عيد الحصاد/ يا معاد الثلج لَن أخشاك/ لي خمرٌ وجمرٌ للمعاد» (نفس المصدر: ١٧١)

٢. البشر الأحرار

لقد تم الإشادة بالبشر الأحرار وسيئنى عليهم عبر تاريخ البشرية، وهم يبحثون دائماً عن الحرية لتشكيل حياتهم وفقاً لرغباتهم، وهذه علامة من علامات نهاية المأساة. فى قصيدة «الجسر» يتحدث خليل حاوي عن جيل من البشر الأحرار الساعين إلى الحرية، ويصورهم وهم يعبرون جسراً يمرّ ببطء:

«يعبرون الجسرَ فى الصبحِ خفافاً/ أضلعي امتدت لهم جسراً وطيداً/ من كهوف الشرق، من مستنقع الشرق/ الى الشرق الجديد/ أضلعي امتدت لهم جسراً وطيداً/ سوف يمضون

وَتَبَقَى / صَنَمًا خَلَفَهُ الْكُهَّانُ لِلرَّيْحِ / التي تُوسِعُهُ جِلْدًا وَحَرَقًا / فَارِغَ الْكُفَّينِ، مَصْلُوبًا، وَحِيدًا /
فى لِيالى الثَّلْجِ وَلاَفِقُ رَمادٍ / وَرَمادُ النّارِ، وَالخُبْزُ رَمادٍ / وَيُوافِيكَ مَعَ الصُّبْحِ البَرِيدِ / صَفْحَةَ
الأخْبَارِ... كشم تجتّر ما فيه / تُقْلِيها... تُعيد...» (حاوى، ١٩٦٨: ١٦٩-١٦٨)

٣. الكفاح والنضال

يكون الإنسان دائماً رجلاً سياسياً وكفاحياً ضدّ المغتصبين فى مجتمع مضطهد،
ويعانى من الجهاد فى غياب التحرير، والشاعر فى هذا المجتمع هو من يقاتل بمساعدة
شعره. كان خليل حاوى من الشعراء الذين استخدموا المسيح(ع) و معاناته على الصليب
رمزاً لكفاح الإنسان المعاصر ضد الظلم الذى وقع فيه. يصور الشاعر فى قصيدة «الحب
وجلجلة» كفاح الإنسان المعاصر الذى يقاتل من أجل من يحبهم؛ لأنّ الإنسانية لا تُفهم
إلا فى النضال، وبهذه الطريقة تتجاوز كل الآلام لتظهر اهتمامها الشديد بالنضال ضد
الظالمين والطغاة:

«كَيْفَ لا أَنْفُضُ عَنْ صَدْرِى الْجَلَامِيدَ / الْجَلَامِيدَ الثَّقَالَ / كَيْفَ لا أَصْرَعُ أَوْجَاعِي وَمَوْتِي /
كَيْفَ لا أَصْرَعُ فى ذِلٍّ وَصُمْتٍ: / «رُدَّتِي، رَبِّي، إِلَى أَرْضِي» / «أَعِدْنِي للحياة» / وَليكن ما كان،
عَانِيَتْ مِنْها / مِحْنَةَ الصُّلْبِ وَأَعْيَادَ الطَّغَاةِ / غَيْرَ أَنِّي سَوْفَ أَلْقَى كُلُّ مَنْ أَحَبَّبَتْ / مَنْ لَوْلَاهُمْ
مَا كان لِي / بَعَثْتُ، حُنَيْنٌ، تَمَنَّى...» (حاوى، ١٩٦٨: ١٣٣-١٣٢)

يتحدث خليل حاوى فى قصيدة «فى صومعة كمبريج» عن معركة أخرى، وهذه
المعركة على الهوية العربية المعاصرة، معركة على الأفكار القديمة، والتي يعبر عنها برمز
«الناسك المخدول»:

«النَّاسِكُ المَخْدُولُ فى رَأْسِي / يُطِيلُ عَلَيَّ يَسْأَلْنِي، بَحَارٍ / أَهْمَلْتَ فَرَضَكَ» (نفس
المصدر: ٢١٣)

٤. الثورة والانتفاضة

إن حركات الثورة والانتفاضة والتحول هى نتاج الابتعاد عن العار والفساد الذى حل
بالأمة. يكون التنوير والبعث لخروج الإنسان من ذنبه، ممّا أدى إلى الفساد، هو التحرر من
هذه الذنوب. كان خليل حاوى من أولئك الذين عبروا بطريقة أسطورية عن البعث بعد

الركود الذى أدى إلى التحرير. هو يقرّ بأنّ أى شخص يقرأ شعري سَيَرى بلا شك الثورة على أنها مسعى عفوى مستمر فعال فى اختراع الرموز المستمدة من الحكايات الشعبية والظواهر الطبيعية، وفى كلمات مثل تموز، عنقا، بعل، سندباد، و... يتجلى (حجا، ١٩٩٩: ٢٣٢). يستخدم خليل حاوي أسطورة تموز التى ترمز إلى انتصار الحياة والخصوبة على الموت والجفاف، وأسطورة عنقا الذى يموت ثم يلتهب رماده ويبعث، للتعبير عن هذه الثورة والانتفاضة:

«إِنْ يَكُنْ، رَبَّاهُ/ لَا يُحْيِي عُرُوقَ الْمَيِّتِينَ/ غَيْرُ نَارٍ تَلِدُ الْعَنْقَاءَ نَارًا/ تَتَغَدَّى مِنْ رَمَادِ الْمَوْتِ
فِينَا/ فِي الْفَرَارِ» (حاوي، ١٩٦٨: ١٢٦-١٢٥)

٥. ثورة على المضامين الفكرية والروحية القديمة

بعد أن أدرك الإنسان العربى المعاصر هيمنة القيم والأفكار القديمة عليه، اشتعل الشغف والاهتمام الذى بداخله لتجاوز الركود الذى أصاب عقل الإنسان وجوهره؛ لذلك يعبر فى البداية عن هذا العقم الفكرى والروحى فى قصيدة «السندباد فى رحلة الثامنة»، كيف بقيت على حالها على مرّ السنين، ويعتبر من الضرورى تغييرها:

«رِحْلَاتِي السَّبْعُ وَ مَا كُنْتُهَا/ مِنْ نِعْمَةِ الرَّحْمَنِ وَ التَّجَارَةِ/ يَوْمَ صَرَعْتُ الْعُؤْلَ وَالشَّيْطَانَ/
يَوْمَ انشَقَّتِ الْأَكْفَانُ عَنْ جِسْمِي/ وَ لَاحَ الشَّقُّ فِي الْمَغَارَةِ» (حاوي، ١٩٦٨: ٢٥٧-٢٥٦)

يصبح خليل بالتعبير عن هذا الركود أكثر تحفيزاً للثورة وتحولاتها، وعندما يتجلى هذا الركود فى وجه الحياة فى مدينته يزداد دافعه ويترك «السندباد» التى هى رمز الإنسان المعاصر للهروب من الوضع الحالى والتخلص منه:

«وَاللَّيْلُ فِي الْمَدِينَةِ/ تَمْتَصُّنِي صَحْرَاؤُهُ الْخَزِينَةُ/ وَغُرْفَتِي يَنْمُو عَلَى عَتَبَتِهَا الْغُبَارُ/
فَأَبْتَغِي الْفَرَارَ» (نفس المصدر: ٢٥٥)

٦. ثورة على المضامين الدينية

بعد أن رأى الإنسان المعاصر نفسه مغموراً فى دوامة المحيط ذات المحتوى الدينى، فكر فى تغيير هذه المحتويات الدينية التى يعتبرها بعض الناس مقدسة. قادهم هذا إلى التحول الدينى الذى لا حرج فيه من وجهة نظر الإنسان المعاصر:

«وكان في الدار رواقاً / رصعت جدرانها الرسوم / موسى يرى / إزميل نارٍ صاعق الشّرر /
يحفّر في الصخر / وصايا ربّه العشر: / الزّفت والكبريت والملح على سدوم» (نفس المصدر: ٢٥٨)

٧. ثورة على التناقضات بين القيمة والممارسة في المجتمع

كان الإنسان المعاصر يفكر باستمرار في المحتوى الضروري لتحرره وحرية حتى وصل إلى تناقض بين القيم والفعل. للتعبير عن هذه التناقضات، يصور خليل كاهناً يتظاهر بالدفاع عن القيم غير الحقيقية:

«على جدارٍ آخرٍ إطاراً / وكاهنٌ في هيكل البعل / يربّي أفعواناً فاجراً وبومٍ / يفتنّ سرّاً
الخصب في العذارى / يهليل السكاري» (نفس المصدر: ٢٥٩)

ويتحدث أيضاً في أبيات أخرى عن *أبي العلاء المعري*، الذي كان أعمى طوال حياته وعاش بعيداً عن الناس، لكنه كان دائماً يعرض المرأة للقبح والانتهاكات بالفساد:
«هذا المعريّ / خلف عينيه / وفي دهليزه السّحيق / دُنياه كيدُ امرأةٍ لم تغتسل من
دمها» (نفس المصدر: ٢٦٢)

ومرة أخرى يشير إلى الخادمة التي قتلها وليها بدافع الغيرة غير المقصودة - كما حدث في مسرحية الشاعر الإسباني الشهير *لوركا* - أو بسبب حماسة ديك الجن الغبية التي أجبرته على قتل وحرق جسد زوجته:

«لوركا» و«غرس الدّم» في إسبانيا / وسيف ديك الجن يوم ارتدّ من حماة / العنق
العاجي نهر أحمر / يا هول ما جمده الموت على الشفاة» (نفس المصدر: ٢٦٢)

كانت كل هذه القيم الاجتماعية الفاسدة التي جعلت الإنسان المعاصر يسقطها ويفتح عينيه على نافذة مشرقة.

٨. ثورة الإنسان المعاصر على نفسه

لا يحقق الإنسان أي هدف أبداً، ولن تنجح جهود تغييره وتحوله في المجالات الروحية والثقافية والدينية والاجتماعية إلا إذا قام بتغيير في ذاته الحقيقية، وبهذه الطريقة يحقق النتيجة أخيراً، كما قال الله تعالى في القرآن: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد / ١١). تمكّن خليل حاوي من تأليف قصائد يكون فيها فهم الشاعر للوجود

بحيث يتشابك عالم الشاعر الخاص مع المجتمع الذي يعيش فيه. لدرجة أن تحرر الفرد الذي يسعى إليه الشاعر من خلال شعره هو في نفس الوقت تحرير المجتمع الذي يعيش فيه.

توصل الإنسان المعاصر في شعر خليل إلى استنتاج مفاده أن ما يجب أن يغيره أولاً هو الثورة والتحول الذي واجهه في الماضي، والذي كان مليئاً باللوم والنفاق والخداع. لذا فإن سندباد مصمم على التنحي عن هذا المنصب، وبعد انتظار طويل، فجأة بدأت رياح التغيير تهب وتخدّر الإنسان المعاصر، فتحوّله إلى طفل لا يخجل عريه ويصبح قلبه أخضر، وكل قبح ونجاسة يمحو من لوح قلبه:

«لَنْ أَدْعَى أَنْ مَلَائِكَةَ الرَّبِّ / أَلْقَى خَمْرَهُ بِكَرَأٍ وَجَمْرًا أَخْضَرًا / فِي جَسَدِي الْمَغْلُولِ
بِالصَّقِيحِ / صَفَى عُرُوقِي مِنْ دَمٍ / مُحْتَقِنٍ بِالْغَازِ وَالسَّمُومِ / عَنْ لَوْحِ صَدْرِي مَسْحَ / الدَّمْعَاتِ
وَالرُّسُومِ» (حاوي، ١٩٦٨: ٢٧٣)

٩. الإنسان المعاصر ينتظر معجزة

عندما يكون الإنسان في مأزق وتقلبات الحياة ويسقط في فخ المعاناة والتشابك، فإنه يتوقع شيئاً غير عادي يفتح له نافذة ويكون منقذه. في مواجهة الدمار والكوارث والحروب التي عصفت بالمدينة المعاصرة، وكذلك القمع الذي حل بالجيل المعاصر والمرأة، واليأس والركود الذي يحيط بهم؛ لا يقدم خليل للإنسان المعاصر حلاً غير معجزة تعيد المدينة العربية المعاصرة وجيلها إلى صحتها الأصلية؛ المعجزات التي تتناسب مع مقدار الدمار الذي لحق بالمكان والإنسان، معجزات إلهية يقدمها خليل من تراثه وذاكرته التقليدية. الخضر الذي يضيء الكهرباء على الغول والتنين، ومحمد(ص) الذي هزم خسرواً وبرويز على يد الإيرانيين وأخيراً عيسى(ع) وأعوانه(الضاوي، ١٣٨٤: ٦٤). يقول خليل حاوي:

«فَارِسٌ يَمْتَشِقُ الْبَرْقَ عَلَى الْغُولِ / عَلَى التَّنِينِ، مَاذَا هَلْ تَعُوذُ الْمُعْجَزَاتُ / بَدَوِيٌّ ضَرَبَ
الْقَيْصَرَ بِالْفُرسِ / وَطِفْلٌ نَاصِرِيٌّ وَخُفَاةٌ / رَوَّضُوا الْوَحْشَ بِرُومًا، سَحَبُوا / الْأَنْيَابَ مِنْ فَكِّ
الطَّغَاةِ / هَلْ تَعُوذُ الْمُعْجَزَاتُ» (حاوي، ١٩٦٨: ١٥٩-١٥٨)

فالإنسان المعاصر يتوسل ويأسى أمام الله وينتظر أن تحل المعجزة محلها بعد الظلمة والانحراف والنكبات الخصبة والينابيع المتدفقة:

«هل تَعُودُ الْمُعْجَزَاتُ/ باسمِ هذا الصُّبْحِ فى «صِنِّين»/ وَالْعُتْمَةُ خَلْفَى وَجَحِيمِ الذِّكْرِيَاتُ/ وَلِيَحُلَّ الخَصْبُ وَالتَّجْرِ الْيَنَابِيعُ»(المصدر النفس: ١٦٠)
نعم، خليل حاوى يتمنى عودة كل المعجزات إلى العصر المعاصر لكى تعود الحيوية والنضارة إلى حياة الإنسان المعاصر.

١٠. الإنسان المعاصر فى اليقين

يصل خليل اليقين فى أسطورة «عنقا» ويعلم الأجيال القادمة بأنهم سيحققون نتائج كما فعل «عنقا» بعد حرق نفسه فى النار لبناء حياة جديدة:
«فَلْنِعَانِ مِنْ جَحِيمِ النَّارِ/ ما يَنْحُنَا الْبَعْثَ الْيَقِينَا/ أُمَّماً تَنْفُضُ عَنْهَا عَفْنَ التَّارِيخِ/ واللَّعْنَةَ، وَالْعُيْبَ الْحَزِينَا/ تَنْفُضُ الْأَمْسَ الذِّى حَجَّرَ»(حاوى، ١٩٦٨: ١٢٦)
يتأكد الشاعر فى قصيدة «السندباد فى رحلته الثامنة» من أنه أتى ليهديها لساحة المدينة ويترك القيم القديمة فى دوامة ويستبدلها بالخضرة والسلام اللذين أحضرهما معه:

«فى ساحة المدينة؟/ كَانَتْ خَطَاها/ زورقاً يُجىُّ بالهزيج/ مِنْ مَرَحِ الْأَمْوَاجِ فى الْخَلِيجِ/
كَانَتْ خَطَاها تَكْسُرُ الشَّمْسَ/ عَلَى الْبَلُورِ، تَسْقِيهِ الضَّلَالِ/ الْخَضْرَ وَالسَّكِينَةَ/ لَمْ يَرَهَا غَيْرِ»
(نفس المصدر: ٢٧٨-٢٧٧)

١١. الإنسان المعاصر ينتظر التبشير والخلاص

بعد أن عانى خليل من المصائب والمعاناة التى حلت بالأمة، ثار عليهم وحقق اليقين. إنه يعطى الإنتظار والتبشير للإنسان المعاصر.
السندباد فى أشعاره تحدث ثورة فى الحضارة الفاسدة القديمة، ويضعها الشاعر نبي بعث الحضارة الجديدة، وتأتى هذه الساعة ويضىء الحلم فى عيون سندباد كالشمس.
هذا هو حلم عالمنا الجديد الذى نراه مخفياً فى الضمير الباطن:
«وَالْيَوْمَ، وَالرُّؤْيَا يَا تَعْنَى فى دَمِي/ بِرِعرْشَةِ الْبَرْقِ وَصَحْوِ الصَّبَاحِ/ وَفَطْرَةِ الطَّيْرِ التِّى تَشْتُمُ/ ما نِيَّةُ الْغَابَاتِ وَالرِّيَّاحِ/ تُحَسُّ ما فى رَحِمِ الْفَصْلِ/ تَرَاهُ قَبْلَ أَنْ يُولَدَ فى الْفُصُولِ/
تُنَوِّرُ الرُّؤْيَا وَمَاذَا/ سوف تَأْتى سَاعَةً/ أَقُولُ مَا أَقُولُ»(نفس المصدر: ٢٩٠-٢٨٩)

نعم، يتوقع الشاعر التبشير الذي على الغصن الأخضر، أن هناك ملايين المنازل على هذه الفروع- مثل منزل السندباد- وأن للناس الحق في العيش وفي إنجاب الأطفال مثل الكروم والزيتون في الضوء والهدوء:

«تحتلَّ عَيْنِي مروجٌ، مُدْخَنَاتٌ/ وإلهٌ بعضُهُ بَعْلٌ خَصِيبٌ/ بعضُهُ جَبَّارٌ فَحِمٌّ ونارٌ/ مِليُونُ دارٍ مثلُ دارِي ودارٍ/ تزهو بأطفالٍ عُصونِ الكرمِ/ والزيتونِ، جمرِ الربيعِ»(نفس المصدر: ٢٩١-٢٩٠)

ثم يعود الإنسان المعاصر بالتبشير على شفتيه، ما عليه أن يراه ويشعر بالعودة:

«عُدْتُ إِلَيْكُمْ فِي فَمِهِ بَشَارَةٌ/ يَقُولُ مَا يَقُولُ بِفِطْرَةٍ تَحْسُّ مَا فِي رَحِمِ الْفَصْلِ/ تَرَاهُ قَبْلَ أَنْ يُوَلَدَ فِي الْفُصُولِ»(المصدر السابق: ٢٩٩)

يصور الشاعر في كثير من قصائده حياة رجل عربي، لذا كانت الوحدة بين سوريا ومصر عام ١٩٥٨ من الأسباب التي فتحت حلم الشاعر، ووضعت حداً لظاهرة الانحدار، وبذلت بخلق حضارة جديدة(جيده، ١٩٨٦: ٢٤٦)

١٢. الإنسان المثالي المعاصر

المثالية هي الرغبة في التحرر من الاختناقات والقفز نحو أفق الحقائق الواسع واللائهائي. الأنبياء، الأولياء، الفلاسفة والعلماء الحقيقيون هم تماثيل للعظمة والتجلى للكمال ألهموا البشر منذ العصور القديمة، من خلال الثقافة البشرية.

كان خليل من الشعراء الذين يرسمون هذه الشخصيات، ولا سيما عيسى(ع)، يعبر عن الإنسان المعاصر المثالي الذي، على الرغم من كل المعاناة والآلام التي يتحملها، يفكر في المرور عبر البشر والبحث، ويصر على البحث عن هويته العربية، ولديه القدرة على تغيير الحقائق وبناء حضارة جديدة مثل عيسى(ع)، ويأخذه الشاعر إلى مرحلة المثل الأعلى الذي توقعه، والذي يعبر عنه في قصيدة «كهف»:

«يَا مَنْ حَلَلْتَ وَكُنْتَ لِي/ ضَيْفًا عَلَيَّ غَيْرِ إِنْتِظَارٍ/ وَمَلَأْتَ مَائِدَتِي/ بِطَيْبِ الْمَنِّ وَالسَّلْوَى/ سَكَبْتَ الْخَمْرَ مِمَّا لَيْسَ تَعْرِفُهُ الْجَرَارُ»(حاوي، ١٩٦٨: ٣٠٨)

١٣. الإنسان المعاصر في التحرر والحرية

لقد وصل الحرّية خليل حاوي بعد أن مرّ بكل مراحل التغيير والتحول في كل المجالات وبعد أن حقّق اليقين وتلقّيه التبشير. رأى خليل الشعب العربي المعاصر يكتسب الحرية ويحترمها، ورأى أنهم تحرروا من تراثهم القديم، وتطهيرهم من زلاتهم، وأعداؤهم مثل التماسيح لقد طردوا أرضهم:

«ما كان لي أن أحتفي / بالشمس لو لم أركم تغسلون / الصبح في النيل وفي الأردن
والفترات / من دمعة الخطيئة / وكلّ جسم ربوّة تجوّهرت في الشمس / ظلّ طيّب، بحيرة
بريئة / اما التماسيح مَضَوْا عن أرضنا» (نفس المصدر: ٢٩٤)

نتيجة البحث

يقدم خليل حاوي في أشعاره صورة للإنسان يتعامل من خلالها بطريقة جديدة مع حقيقة أن اكتشاف الإنسان المعاصر والتعامل معه لا يقتصر فقط على مجال العلوم، لاسيما العلوم الإنسانية والاجتماعية والفلسفة والنظريات، بدلا من ذلك، في بعض الأحيان أو حتى في كثير من الأحيان، فإن البصيرة واكتشاف الإنسان المعاصر في الشعر هو أقدم بكثير وأفضل وأعمق من المجالات الأخرى. صورة الإنسان المعاصر في شعر خليل، إنسان يحيط بحياته القهر والمعاناة، وأزمة وصوله إلى المعرفة واليقين في الشرق والغرب ظاهرة واجهها وتجلت في معظم قصائده. من وجهة نظر خليل حاوي، واجه العالم المعاصر وخاصة العالم العربي وبالتالي لبنان، ظلماً ودماراً وانحرافات وضلالات. وهذه هي المشكلة الأكبر والأكثر جوهرية التي يواجهها المجتمع البشري المعاصر؛ لأن هذه الآلام أدت إلى الركود في أفق الحياة البشرية المعاصرة. يعتبر خليل الإنسان المعاصر إنساناً كان يبحث دائماً عن الحقائق والوقائع ويبحث عن طريقة أو طرق للتخلص من هذه المشاكل والقمع والأزمات التي يواجهها. يعتقد الشاعر أن الإنسان المعاصر يرى مخرجاً من هذا الجمود والعقم بأمل وحرية ويقين. ومن خلال انتظار المعجزات ثم التحول والثورة على نفسها وعلى القيم الدينية والاجتماعية والفكرية القديمة، ومحاربة المشاكل، والمثالية تخطو خطواتها الأساسية نحو الحرية. يرى خليل أنها تحتوى على الخطوة الأولى في تحرير ثورة الإنسان، وبعد ذلك يجد الإنسان، شاء أم أبى، طريقه إلى التطورات المقبلة.

المصادر و المراجع

القرآن الكريم.

- جبر، جميل. ١٩٩١م، شعراء لبنان؛ خليل حاوي، بيروت: دار المشرق.
الجيدة، عبدالحميد. ١٩٨٦م، الإتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر، لبنان: دار الشمال.
حاوي، خليل. ١٩٦٨م، الأعمال الكاملة، بيروت: دار الفكر العربي.
حجا، ميشال خليل. ١٩١٩م، من أحمد شوقي إلى محمود درويش، بيروت: دار العودة.
الحرّ، عبدالمجيد. ١٩٩٥م، خليل حاوي شاعر الحداثة والرومانسية، بيروت: دار الكتب العلمية.
شفيعى كدكنى، محمد رضا. ١٣٨٤ ش، شعر معاصر عرب، تهران: انتشارات توس.
الضاوى، احمد عرفات. ١٣٨٤ش، كارکرد سنت در شعر معاصر عرب، ترجمه دكتور سيد حسن سيدى، مشهد: انتشارات دانشگاه فردوسى مشهد.

المقالات

- رجاى، نجمه. ١٣٨٢ش، «حكايات سندباد به روايت ناى و باد»، مجله تخصصى زبان و ادبيات، تابستان، دوره ٣٦، ش ٢، مشهد، دانشگاه فردوسى مشهد.
نصيرى، روح الله. ١٣٨٤ش، «توظيف الرموز الأسطورية فى شعر خليل الحاوي (بيادر الجوع أنموذجاً)»، مجلة دراسات الأدب المعاصر، السنة السابعة، شتاء، العدد ٢٨.

Bibliography

- The Holy Quran.
Jabr, Jamil. 1991, Lebanese poets; Khalil Havi, Beirut: Dar Al-Mashreq.
Al-Jideh, Abdolhamid, 1986, New manifestations in Arabic contemporary poetry, Lebanon: Dar al-Shomal.
Havi, Khalil 1968, Complete Works, Beirut: Dar al-Fekr al-Arabi.
Heja, Michal Khalil. 1919, from Ahmad Shawqi to Mahmoud Darwish, Beirut: Dar al-Awda.
Al-Horr, Abdolmajd, 1995, Khalil Havi, the poet of Hadith and Romania, Beirut: Dar Al-Kotob Al-Elmiya.
Shafiee Kadkani, Mohammad Reza 2005, Arabic Contemporary Poetry, Tehran: Toos Publications.
Al-Zavi, Ahmad Arafat 2005, The Function of Tradition in Contemporary Arabic Poetry, translated by Dr. Seyed Hassan Seyedi, Mashhad: Ferdowsi University of Mashhad Press.

Articles

- Rajae, Najmeh. 2003, "Sandbad Tales as Narrated by Nay and Bad", Journal of Language and Literature, Summer, Volume 36, Issue 2, Mashhad, Ferdowsi University of Mashhad.
- Nasiri, Ruhollah 2005, "The task of the mystical mysteries in the poetry of Khalil al-Havi (Biyadar Al-ju Anmuzajan)", Journal of Contemporary Literature Studies, Seventh Year, Shataa, number 28.

Release of contemporary man from crisis in Khalil Havi's poems

Afshar Ghasemabadi: MA in Arabic language and literature and teacher of high schools in Sahna city

Abstract

Khalil Havi's poems contain an echo from contemporary man and his problems and hardships that speak of the pain, suffering and oppressions on him. Havi considers man in the present age, especially Arabic contemporary man, to be a captive creature that is caught in the current crisis and is surrounded by oppression. Poet in his poems also deals with the oppressions and crises that caused man to be stagnant in the present age, to the extent that a deep crisis and tragedy is depicted in his poems, and this is the crisis and sorrow that is the basis of human existence. Havi is not unaware of contemporary man's awareness of his oppression and problems and it is to explain contemporary man with the human principle. In his poems, he considers ideas for human release and uses his existential experiences and expresses them. According to Khalil Havi, contemporary man, in order to free himself, has made release as the top priority of his life and with slogans such as hope, waiting for miracles, certainty, struggle and revolution, resurrection and idealism, strives for release and freedom and alleviation of its pains and sufferings in order to be able to do an action with these ideas and efforts and struggles for the release of humanity, in particular, the Arabic man and in all these circumstances, he hoped to achieve the freedom he wanted.

Keywords: Khalil Havi, Poetry, Contemporary Man, Oppression, Release.

رهایی انسان معاصر از بحران در اشعار خلیل حاوی

افشار قاسم آبادی*

چکیده

اشعار خلیل حاوی پژوهشی از درون انسان معاصر و مشکلات و سختی‌های اوست که از دردها و رنج‌ها و ستم‌های وارد آمده بر وی سخن می‌گوید. حاوی، انسان در عصر حاضر خصوصاً انسان معاصر عربی را موجودی در بند و اسیر می‌داند که در بحران موجود گرفتار آمده و ظلم و ستم وی را احاطه کرده است. همچنین شاعر در اشعار خود به ظلم‌ها و بحران‌هایی که انسان عصر حاضر را دچار رکود و جمود ساخته، می‌پردازد، تا جایی که بحران و تراژدی عمیق در اشعارش به تصویر کشیده شده است و این همان بحران و اندوهی است که مبنای وجودی انسان معاصر گشته است. حاوی، از آگاهی انسان معاصر نسبت به ظلم و ستم و مشکلات خود غافل نبوده است. وی در اشعارش برای رهایی بشر ایده‌هایی را در نظر دارد و از تجارب وجودی خود بهره جسته و به بیان آن‌ها می‌پردازد. به عقیده خلیل حاوی، انسان معاصر برای رهایی خود آزادی و آزادمندی را سرلوحه زندگی خود قرار داده و با شعارهایی چون امیدوار بودن، در انتظار معجزه بودن، یقین، مبارزه و انقلاب، رستاخیز و آرمانگرایی، برای رهایی و آزادی و کاستن از دردها و رنج‌هایش می‌کوشد تا بتواند با این ایده‌ها و تلاش‌ها و مبارزه‌هایش برای رهایی بشریت، خصوصاً انسان عربی اقدامی انجام داده باشد و در همه این احوال امیدوار بوده بتواند به آزادی مورد خواست خود دست یابد.

کلیدواژگان: خلیل حاوی، شعر، انسان معاصر، ستم، آزادی.

* کارشناس ارشد زبان و ادبیات عربی و دبیر دبیرستان‌های شهرستان‌های صحنه.